﴿ المداواة بالفواكه ﴾

لو كان الناس قد عودوا نفوسهم الجري على ما رسمته لهم الخلقة والطبيعة من اكل البقول والاثمار او لو اكثروا من اكلها لقل من امراضهم وكفوا سقم المعدة وسائر الجسم واستغنوا عن ان تكون عندهم صيدليات فيها من كل دوآء نوعان في حين الله قد ملاء لهم الارض بالاشجار فيها من كل فاكهة زوجان

اما كون الاكثار من اكل الفواكه الناضجة الشهية مما يحسن معيشة الانسان ويدفع عنه اذى الامراض فامر مشهور كما ان مداواة بعض العلل ببعض الفاكهة مما اجمعوا عليه لما تحتويه من المواد النافعة التي تقوم مقام الادوية فضلاً عما تخالفها به من جودة الطعم وطيب النكهة بل انه لو لم يكن من بعضها الا غناؤه عن المسهلات وما يتبعها من زكام المعدة احياناً لكفى بذلك نفعاً وكفاها به فضلاً

اما الفواكه النافعة او التي يتداوى بها فكثيرة ولكنهم يذكرون في مقدمتها التفاح فانه سواء اكل جنياً او مطبوخاً نافع كثيراً ولا سيما الذين يكدون اذهانهم ويجهدون قرائحهم كما انه مما يحسن لون الوجه ويكسبه الحمرة وينيل العين صفاء وبريقاً

الا ان الاجانب يفرطون باعتمادهم في كل شيء فهم اذا اعتقدوا النفع بشيء او الضرر منه بالغوا في الاكثار منه او تجنبه الى حد قد يفضي الى الضرر ومن هذا القبيل فرط رغبتهم في التفاح خصوصاً حتى جعلوا له

حزباً يعين على الواحد منهم ان يأكل تفاحتين كل يوم ذاهبين في ذلك مذهب القائلين « متى دخلت التفاحة الى البيت خرج منه الطبيب »

ثم انه مما يذكرونه عن التفاح ايضاً انه خير علاج يرد به اذى السكر وادمانه وهم يقولون ان من يكثر من اكله تعاف نفسه الشراب بالتدريج حتى يصير كارهاً للخمر بقدر ما كان محباً لها وهذا القول غريب لان السكيرين مولعون بالتفاح يتخذونه نقلا لهم ولا يبعد ان يكون له شيء من مزايا الخمر فهو يرافقها او يغني بمفرده عنها فيكون كبديل منها ولعل المستفاد من قول الشاعر يكون دالاً على شيء من ذلك وهو

يقولون لي ها قد شربت مدامة فقلت لهم لا بل اكلت سفرجلا

كأنه بذلك يريد التمويه بسبب مجانسة النوعين

ولقد كان البرتقال في جملة ما عينوه من الفواكه النافعة فانهم يذكرون عنه انه يشفي من الانفلونزا ويكسب الجسم عافية وصفاء لون ومثل ذلك قالوا ايضاً عن الجزر اذا اخذ منه المقدار القليل

الا ان المعالجة بشتى الفواكه ولا سيما العنب ملك الاثمار قد صار من الامور المشهورة على قلة عناية الناس به فترى الانسان قل ان يأكل في الاسبوع عنقوداً في ابان العنب او يتناول برتقالة فيه ولو كانت الواحدة بعشر بارات ولهذا يحسن بالقراء ان يعتمدوا تلك العلاجات الشهية النافعة لانهم يبحثون عن مسهلات وادوية مقبولة الطعم على الاقل فلا يجدون على حين لهم من تلك الفاكهة ما يقوم مقامها ويعد تناوله ترفاً ونعيما

ولكن مما ذكره البعض عن غير الفاكهة قصد المداواة او التوقي من الامراض هو زيت الزيتون فقد حدثوا عنه انه خير ما يكون لمكدودي

الذهن وللمصابين بفقر الدم ولكن هذا الزيت مهما كان نقياً فان النفس تعافه لعدم اعتيادها اياه ولكونه ليس فيه نكهة وحلاوة ولهذا رأوا الاحتيال عليه بطريق الكامخ (السلاطة) وذلك بان تؤخذ كل يوم مرتين ويوضع فيها كل مرة مقدار ملعقة صغيرة فيضيع التقزز منه بسبب ما يمتزج به من الخل ثم يزاد هذا المقدار بالتدريج ويقلل معه مقدار الخل حتى تعتاده النفس ويصير في الامكان تناوله صرفاً حين الحاجة اليه كعلاج فيفيد في آلام المفاصل ويكسب الجسم سمناً ونشاطاً كما هو الشأن في زيت السمك الكريه الممقوت ولما كانت هذه العلاجات نافعة على الارجح او هي لا تضر اذا لم تنفع النفع الموصوف فلا بأس من تناولها والتحقق مما ذكر عنها والله الواقي في كل حال

عثرات الامال

كل ما ترتضيه سهل ولكن عثرات الآمال ليست بسهلة

* * *

ارعني السمع اروِ لك حديث يوسف وجوزيفين وهو حديث اوله مسرة وابتسام وآخره حسرة وبكاء

كان عمره لما التقيا ثمانية عشر حولاً وكانت قد بلغت الربيع الخامس عشر من سنيها . كانا زهرتي رقة ولطف وجمال في بستان الشباب والصباء وبلبلي ادب وعفة وعافية على غصن الفضيلة والمجد والولاء

التقيا في سهرة احسان حافلة بالكرام والحسان وكانت صديقة شقيقته فاحبته لساعتها واحبها لساعته وانطلق في اليوم التالي الى منزلها يقدم فروض الاحترام لوالديها فاكرما وفادته ثم انصرف والامل ملء جوارحه والرجاء يفيض من نظراته

ومضت على ذلك ايام وهو يعد الليالي والساعات وكلما رآها بسمت له يبتسم الدهر في وجهه ويقول لها انك يا جوزفين محبوبتي فتجيبه انك يا يوسف موضوع حبي والضيف النازل في فؤادي . وينعقد الكف بالكف وبدنو شفتا الفتى من وجنة وردّها الصباء والحياء فيودعها قبلة تلو قبلة الى ان يشعرا بوقع قدم او يسمعا صوت باب فتنفر الى النافذة كالغزال الشارد

وكان الاتفاق قد تم بين اهل الفتى والفتاة على تزويجهما ولكن بعد

ان يقضي يوسف مدة الخدمة العسكرية التي كان اجلها يدنو فيفرح به يوسف ويحزن

* * *

حانت ساعة الفراق وخلا الخطيبان الوداع فما ملك الشاب اضطرابه ولا كتمت جوزفين دمعها

= أتقيمين يا جوزفين على الوعد وترعين ذلك العهد عهد الحسب والولاء ووعد الصداقة والوفاء ... انني سائر الى حمل السلاح واذا طرأ على الوطن خطر ونفخ في البوق سرت الى ساحة القتال حيث تباع الارواح بيع السماح فهل تقيمين على العهد على اي حال

= حبيبي اليوم انت وحبيبي انت على الدوام فسر على بركات الله وكن للوطن حارساً ولشرف العسكرية حافظاً وبعهد حبيبتك وافياً

وعطف الشاب والصبية كل منهما على الآخر يمزجان حر انفاسهما ويمزجان القبلات بالدموع ثم علا صفير القطار وبعد وجه الحبيب حتى اختفى عن الابصار

* * *

مضت السنة الاولى ورسائل الغرام تروح وتجيء بين باريس والمعسكر الذي أرسل يوسف اليه ثم انقطع ورود الكتاب من باريس على حين فجاءة فاضطرب فؤاد الشاب وخشي ان تكون حبيبته مريضة

خاف عليها من العلة اذ لم يخطر له في بال انها خائنة غادرة ... لم يجل قط في خاطره ان جوزفين تلك الحمامة البيضاء التي ملأ قلبه حبها يعرف الغدر والخيانة فؤادها ... لم يلح له دقيقة واحدة ان التي اقسمت له بالبقاء

على عهده تحنث بتلك اليمين مع شدة حبه واجلاله اياها... لم يتمثل له ولو طرفة عين ان ذلك الجمال الملائكي يكذب وان ذلك الوعاء يمكن ان يحوي غير الصدق والوفاء ...

ولكن كم من الوجوه الحسان تستر انفساً شنعاء كالبراقع المزوقة تحجب وجوهاً مشوهة ...

* * *

ولما مضت الايام على يوسف وهو يكتب ولا ينال جوابا ويتقلب على احرّ من الجمر كتب الى صديق له في باريس مطلعاً اياه على جلية الامر راجياً منه ان ينبئه عما وراء ذلك السكون فجاءه الجواب مختصراً بسيطاً قائلاً ان التي تحبها لا تحبك فاسلُ ايها الصديق هواها ولا تدع لذكرها في قلبك موضعاً

قرأ يوسف هذه الكلمات وكأنما غشاوة الموت ضربت على بصره ثم عاد روعه اليه وسار من ساعته الى ضابط الفرقة يستأذنه بالسفر الى باريس على ان يعود بعد يومين . فأبى الضابط ان يسمح له لدنو يوم التجارب العسكرية فخرج الشاب من لدن رئيسه وهو عازم على الهرب

* * *

ما انطوى وشاح النهار حتى كان يوسف قد التقى بندقيته وخلع رداءه العسكري وركب القطار الى باريس غير مبال بسوء عاقبة فعله وشدة العقاب الذي ينتظره اذا أخذ وهو هارب من العسكرية ولما وصل الى باريس لم يلو على شيء حتى بلغ منزل الحبيبة الناكثة عهد الولاء فقرع الباب ولقلبه خفقات تكاد تسمعه الاذان . ففتح له الخادم وتركه في مدخل الدار

ثم عاد بعد مدة تخيلها يوسف دهراً فقال ان السيدة نائمة وان اباها قد خرج فانصرف يوسف دون ان ينبس ببنت شفة وقصد منزل صديقه الذي كتب اليه فاخبره ان خطيبته صارت خطيبة غيره وان العرس بعد شهر وذلك ان رجلاً غنياً قد جاوز سن الاربعين رآها فاعجبته وراقت له ثروته فكان ما كان

*
* *

خرج يوسف من منزل صديقه وهو ضائع الفكر خافت النفس وانطلق في شوارع باريس لا يعي شيئاً ولا يلوي على شيء الى ان اعياه الجري في الطرق فدخل احدى القهوات وكتب الى حبيبته بالامس وخطيبة سواه اليوم قائلاً . ما فعل البعد بذاك العهد ... يا جوزفين الست القائلة بملء فيها انت حبيبي اليوم وغداً الى الابد . الست التي ركعت امامي ورفعت عينيها ويمينها الى السماء رافعة الى الله قلبها مستشهدة الملائكة على قولها هاتفة أقسم انني احبك وانني ساحبك في حالتي البعد والقرب ... حرام على قلبي ان يشكو فعلك ولكن حرام عليك ان تعذبي القلب الذي انت فيه ... على ان هذه الساعة ليست بساعة العتاب وليس يجدي العتاب نفعاً اذا كان من تهواه ليس بذي ودّ ... لقد دنست شرف اجدادي لاجلك، اذ هربت من الجيش لاراك فاغلقت بابك في وجهي غير ذاكرة جمال حبنا ولا متذكرة قبلاتنا كأن لم تكن بيننا اشياء وكأننا لم نخطر معاً جنباً الى جنب في دوحة الحب والولاء ... مغفور لك الذنب في اهراق دمي فانني مائت دون شك في سبيل حبك . فالوداع ايتها القاسية الفؤاد . الوداع ايتها الحبيبة الخائنة واسعدي بسواي اذا امكنك ان تكوني سعيدة

ومتى طلع صباح اكون قد بعدت عن باريس فلا تسمعين بي الا متى حمل اليك خبر موتي واذا كان في فؤادك ذرة من الشعور باقية فاذرفي في ذلك اليوم على يوسف دمعة تنتعش لها عظامي في ضريحها والسلام

ثم نهض فمرّ تحت نافذة الحبيبة الغادرة فرأى في الغرفة نوراً اظلمت لاجله الدنيا في عينيه وقصد بيت ابيه فمرّ ثلاث مرار تحت نوافذه وهو ينظر الى غرفة امه والدمع يترقرق بين جفنيه ثم غادر باريس فما طلع عليه الصباح حتى كان في بلجيكا

* * *

لم تمض على هربه من الجيش ايام حتى نشبت الثورة في ما وراء الجزائر على الفرنسويين واضطرت الحكومة الى مقاتلة العرب هناك وسيرت الفرقة التي كان يوسف جنديا فيها ففي صباح اليوم الذي اصطف فيه الجنود للهجوم تقدم الى ضابط الفرقة فتى فقال يا سيدي انني شاب فرنسوي هربت منذ ايام من الجيش لا فراراً من الخدمة العسكرية بل لامر عرض لي وانني احب اكفر عن تلك الجريمة واسألك ان تقبلني في هذه الفرقة المحاربة فتفرسه الضابط ملياً وعرفه وقال ألست يوسف قال بلى فقال وقد هربت لسبب له علاقة بفؤادك قال اللهم ان حلفتني فنعم فقال الضابط تقلد اذن سيفك وسر بين اخوانك واذكر انك اذنبت الى الوطن وهو لا يغتفر لك الذنب الا باحسان الدفاع عنه . ثم قرعت الطبول ونفخ بالابواق ونفر المحاربون وفي ايديهم البنادق والسيوف . وكان في مقدمة الهاجمين فتى لا يبهره لمعان الحسام ولا يصده الرصاص كأن قلبه لا يعرف الخوف من الموت بل كأنه كان يسعى وراء الحمام الى ان اصابته رصاصة في

قلبه واخترق الرمح صدره فوقع يتخبط بدمه وفاضت روحه وشفتاه تردان اسم جوزفين

* * *

في ذلك اليوم أقيمت في باريس حفلة زفاف جوزفين فلما تمت تقدم الناس لتهنئة العروسين وكان بينهم صديق يوسف فتناول يد العروس وانحنى امامها ثم همس في اذنها ان يوسف قد مات اليوم يا سيدتي فلك البقاء . فاضطربت الفتاة وامتقع لونها وسقطت من عينها دمعة على بياض ردائها الدمقسي لكنها تجلدت وحسبها الناس دمعة تأثر فبسموا لها وانقضى الامر كأن لم يعفر التراب وجه ذلك الشاب .

تأثير العمر في النفس

قال ابو الحسن التهامي رحمه الله

اذا بلغ الفتى عشرين عاماً واعجزه الفخار فلا فخارُ
اذا ما اول الخطيّ اخطا فلا يرجى بآخره انتصار

وقال شاعر آخر

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

وقال العلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله

شاب شعري نظير ما شاب شعري فبياض العذار بيض عذري
ولقد قصرت طوال الليالي همتي فانتشا من الطول قصري